الفصل الرابع:

الإنتاجية الإيمانية

إن مقاييس الإنتاجية المتعارف عليها هي المخرجات التي يتم الحصول عليها من مجموعة مدخلات، علمًا بأن القياس يعتبر عنصرًا مهمًا في دورة التحسين المستمر التي تعتبر بدورها الرافد الحقيقي لـ (أ.ج.ش).

ومما يؤكد اهتمام الإسلام بالإنتاجية المادية، أنه حضَّ على الاجتهاد في العمل للخروج بأفضل النتائج.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ {الملك : ١٥}.

والتعبير بمناكب الأرض فيه حثٌّ على بلوغ أفضل مراتب العمل وإن كانت مجهدة أو شاقة، والاجتهاد في تذليل كافة العقبات لتحقيق ذلك.

والإنتاج في الإسلام ليس متوقفًا على العمل المادي فحسب، بل رتب الله سبحانه وتعالى إنتاجًا ماديًّا على أعمال إيمانية: فمثلًا جعل الاستغفار سببًا من أسباب زيادة الرزق والمال.

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ {نوح : ١٠-١٢}.

obeikandi.com

وجعل الله تعالى التقوى سببًا للبركة في الرزق ولفتح خزائن السموات والأرض بالخير.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ { الأعراف : ٩٦ }.

وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ { إبراهيم : ٧ }.

وفي مقابل ذلك، جعل المعاصي سببًا في محق الرزق أو تضييقه كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ {النحل : ١١٢}.

وقال ﷺ: **"إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"**.

ويتضح الأمران بجلاء في قصة سبأ في قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾{سبأ: ١٥-١٧}.

وهذا المنهج الإسلامي ينطلق من حقيقة عقدية، وهي أن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، والإنسان المستغفر والطائع تتحقق له الطمأنينة.

obeikandl.com

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾{ الرعد : ٢٨ }.

ولا شك أن الإنسان المطمئن يكون أكثر إنتاجًا من غيره.

أما الإنتاجية الإيمانية فقد يصعب قياسها؛ لأنها ذلك الثواب وتلك الحسنات التي ينعم الله بها على المؤمن نظير أعماله في كل ساعة (أو يوم، أو شهر، أو.....)، وإن هذه الحسنات تزيد بقدر حسن النوايا والإخلاص في العمل، وتنقص بقدر سوء النوايا والتقصير في العمل.

قال رسول الله ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.."**.

على الرغم من أن ذلك من علم الله إلا أن المؤمن يستشعر معنى الإخلاص، ومن المؤشرات على ذلك أيضًا شهادة المجتمع المحيط بالمؤمن على أعماله.

قال رسول الله ﷺ: **"إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد؛ فاشهدوا له بالإيمان"**.

وفي الحديث: مُرّ على النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال: "وجبت" ثمّ مُرّ عليه بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال: "وجبت" فقالوا: ما وجبت؟ فقال: "الأول أثنيتم عليه خيرًا؛ فوجبت له الجنة، والثاني أثنيتم عليه شرًّا؛ فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض".

ومن الحكم المشهورة: (ألسنة الخلق أقلام الحق).

obeikandl.com

إن المؤمن في طلب دائم للإنتاجية الإيمانية، وإن عدم علمه بحقيقة قيمتها يكون دافعًا مستمرًّا له للعمل على زيادتها بالمزيد من الإحسان، ليقينه أنها هي التي ستنفعه في يوم القيامة ليدخل بها الجنة بعد رضا الله عنه، بل ليرتقي في درجاتها العلى، نسأل الله الفردوس الأعلى، وما أعظم نعمة الاستغفار والتوبة التي يستطيع بها المؤمن أن يمحو ذنوبه- بإذن الله- فتزداد إنتاجيته الإيمانية.

إن هذه الإنتاجية في جانب المؤمن لا تنفصل عن الإنتاجية والجودة كمقاييس مادية على المنتجات والخدمات، بل هي مكملة لها ودافع مستمر لزيادتها وتحسينها، ولا يكفي أن يكون الإنسان منتجًا فقط، بل الأهم من ذلك هو الاستمرار في زيادة الإنتاجية، ولذلك فإن المجتمع المسلم الذي تزداد فيه الإنتاجية الإيمانية مع الإنتاجية المادية؛ يحمل في تكوينه الصلب مقوماتِ الاستمرار في التطور والتحسين على مر العصور، وإن التاريخ خيرُ شاهد على ذلك.

فقد قامت دول وارتقت ثم انحسرت واندحرت مثل الإمبراطورية الرومانية، وبريطانيا العظمي، وألمانيا، ثم ظهرت اليوم أمريكا واليابان وغيرها، ولكن الأمة الإسلامية استمرت أكثر من عشرة قرون في تذبذب بين الرقي والانحدار من غير أن تندحر، ونسأل الله أن تقوم مرة أخرى لتقود العالم وتملأه عدلًا وخيرًا ورخاءً ونعيمًا، وخاصة إذا تحلت بالإنتاجية بشقيها الإيماني (وهو المهم) وكذلك المادي.

obeikandl.com

الإنتاجية الإيمانية هي الثواب والحسنات
التي ينعم بها الله على عبده في اليوم
(والساعة والدقيقة) ولا شك أنها دافع
قوي لزيادة الإنتاجية المادية

obeikandl.com